

الهون والرومان الشرقيون
خلال النصف الاول من القرن الخامس الميلادي

دكتور / احمد عبد الكريم سليمان
استاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية التربية بالفيوم - جامعة القاهرة

1

2

3

4

الهون والرومان الشرقيون

خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادي

بدأ هجوم الهون على الأراضي الرومانية قبل معركة ادرنة التي وقعت بين القوط والرومان سنة ٣٧٨م بقليل (١) ، فاقتحم الهون منطقة بانونيا سنة ٣٧٧م ، ثم ازدادت هجماتهم بعد سنة ٣٧٨م على ولايات البلقان مما اضطر الامبراطور ثيودوسيوس الكبير الى محاربتهم وانزال الهزيمة بهم وبحلفائهم من الالان Alans والقوط . واستفاد الامبراطور ثيودوسيوس من الهون ايضا فاستخدم جماعات منهم في حربه ضد المغتصب مكسيموس Maximus سنة ٢٨٨م . ويرجع انتصار ثيودوسيوس السريع الى خيالة الهون العاملة في جيشه ، فهي التي اوقعت الخسائر الضخمة بجيش العدو الهارب (٢) .

وعاد الهون لمهاجمة اراضي الامبراطورية الشرقية عام ٣٩٥م حيث انتهزوا فرص تجمد نهر الدانوب وعبروا الى تراقيا فعاثوا فيها الفساد كما اصبحت دالماشيا ايضا مهددة بالغزو . وهاجمت جماعات اخرى من الهون ارمينيا حتى منطقة ملطية Meitene والمناطق الغنية من الامبراطورية

(١) للمزيد من المعلومات عن معركة ادرنة وعن اصل الهون وظهورهم انظر :

Ammianus Marcellinus, The Huns; Jordanes, the visigothic conquests, in the medieval world 300 - 1300, Second edition, edited by Norman F. Cantar, N. 13, pp. 68 - 70, N. 14, pp. 70 - 73;

د. احمد عبد الكريم سليمان : (١) مغزكة ادرنة بين القوط والرومان في ضوء وثائق المؤرخ العسكري ايمانوس مارسيلينوس ، دار النهضة العربية سنة ١٩٩٠م .

(٢) الصراع الدولي في الغرب الاوربي في منتصف القرن الخامس الميلادي ، مجلة المؤرخ المصري ، عدد يناير ١٩٩٤م ص ٢٢٤ وما بعدها (كلية الآداب ، جامعة القاهرة) .

(2) *Thompson, A history of Attila and the Huns, oxford 1943, reprinted 1975, pp. 25 - 26, 31 - 34; F. Lot, The end of the ancient world and the beginnings of the middle ages, pp. 194 - 196, London 1968.*

الشرقية . وامتد التخريب ايضا الى كبادوكيا . كما اجتاح الهون منطقة الفرات وبعض مناطق سوريا واصبحت انطاكية مهددة . وتكرر الهجوم ايضا سنة ٢٩٨م ، فاضطرت الحكومة الرومانية الشرقية الي الاستعانة بالقوط لمقاومة الهون لان الجيوش الرومانية كانت عند وفاة ثيودوسيوس فى الغرب ولم تصل بعد الي الشرق . وأخيرا عقدت معاهدة بين الجانبين الهونى والرومانى أواخر عام ٢٩٨م (١) .

وبمقتضى معاهدة سنة ٢٩٨م بين الرومان الشرقيين والهون قدم اولديس Auldis ملك الهون المساعدة في هزيمة الثائر الجرمانى جياناس Gainas الذي عبر الدانوب سنة ٤٠٠م وهدد الاراضى الرومانية . والواقع ان اولديس قام بذلك العمل لسبيين : الاول وهو انه لا يرغب في رؤية جيش بربري آخر يتجول شمال الدانوب ، والثاني هو تقديم خدمة الي الرومان الشرقيين بارسال رأس الثائر جياناس Gainas الي القسطنطينية في يناير سنة ٤٠١م وقد تسلم اولديس مكافأته ، فحصل علي مجموعة من الهدايا ، كما جدد معاهدة التحالف مع الحكومة الرومانية الشرقية ، وتضمنت المعاهدة الجديدة سداد أموال سنوية للهون (٢) .

(1) Thompson, op. cit., pp. 26 - 28.

(2) Thompson, op. cit., pp.31 - 32.

ولا يعود الفضل في هزيمة جياناس كلية الي الهون ، فتوقعا لوصول جياناس اسرع المواطنون في تراقيا باصلاح وسائل الدفاع عن مدنهم . كما احتشدوا هم انفسهم حاملين اسلحتهم . ونتيجة للغارات السابقة فانهم كانوا علي دراية بالحرب ، فلم يجد جياناس خارج الاسوار سوى الحشائش لانهم نقلوا كل شيء الي داخل المدن ، ومن الواضح ان حوادث عام ٢٩٥م قد علمت سكان تراقيا درسا لم يتقاعسوا عن فهمه ولم ينسوه بسرعة ، وقد تكرر ذلك المشهد فيما بعد عندما هزمت فرق اتيلا علي يد مواطنى ازييموس Asemos انظر : Thompson, op. cit., pp. 32 - 33 . وعن ثورة جياناس انظر : د. الباز العرينسى ، الدولة البيزنطية ص ٤٤ . دار النهضة العربية ١٩٨٢م .

وازدادت خطورة الهون في السنوات الاولى من القرن الخامس الميلادي ، واخذوا يبحثون لهم عن موضع قدم داخل اراضي الامبراطورية الرومانية بأى ثمن سواء بالتحالف ام بشن الهجمات واحتلال الاراضى بالقوة ، وهكذا نرى جماعات من الهون تضغط من المناطق التى احتلتها شمال البلقان علي العناصر الجرمانية الاخرى مثل الوندال والالان والسويفى حتى اضطرت تلك العناصر الى الاتجاه الي الغرب الاوربي ، هذا في الوقت الذى نرى فيه الهون اتباع اولديس يشتركون مع ستيلكو قائد القوات الغربية في هزيمة راداجايسوس Radagaisus قائد العناصر الجرمانية في معركة فاسولاي Fasulae اوائل عام ٤٠٦ م . وكان لغرسان الهون الدور الكبير في احراز النصر ، كما حازوا علي عدد كبير من الاسرى (١) .

وهاجم الهون في عام ٤٠٨م بقيادة اولديس أو اولدين Auldin ولايات الدانوب الادني فى اراضي الامبراطورية الشرقية واستولوا علي قلعة كاسترا مارتيس Castra Matis (وهي كولا الحديثة في بلغاريا الواقعة في ولاية مويسيا) وقد استولي اولديس علي الحصن بطريق الخيانة ثم اجتاح اولديس تراقيا ورفض الاموال التي عرضها عليه القائد الروماني المحلي قائلا ان فى وسعه اخضاع كل البلاد التي تشرق عليها الشمس ، ثم طلب مبلغا كبيرا يصعب سداده ثمنا للسلام ، فاضطر القائد الروماني لرشوة بعض اتباع اولديس حتى تخلوا عن سيدهم كما تخلت عنه ايضا جماعات السكرى Sciri التي كانت تعمل تحت قيادته ، ف وقعت الهزيمة فى صفوفه ، وتمكن من

(1) Thompson, op. cit., pp. 28, 32 - 33; Bury, History of the later Roman Empire from the death of theodosius I to the death of Justinian, New York 1958, Vol. I, pp. 212 - 213, 271.

الانسحاب بصعوبة بالغة واسر كثير من اتباعه ، فتم توزيعهم كرقيق على ملاك الاراضي في آسيا الصغرى (١) .

وإذا كان الهون في اوائل القرن الخامس اعداء للامبراطورية الرومانية بقسميها الغربي والشرقي الا ان جماعات من هؤلاء الهون دخلت في خدمة الرومان الشرقيين والغربيين على السواء ، ولم تكن خدماتهم كمرتزقة في الجيوش الرومانية دون تأثير ملحوظ . كذلك استخدمت بعض الشخصيات الكبيرة في الحكومة الرومانية جماعات من الهون للحراسة الشخصية ، مثال ذلك الوالى البرايتورى روفينوس Rufinus في عهد الامبراطور الشرقي اركاديوس Arcadius ويقال بأن روفينوس الذي كان منافسا خطيرا للقائد الغربي ستيلكو عمل على تشكيل جيش خاص له من الهون . وعندما اراد خصوم روفينوس القضاء عليه هاجموا اتباعه من الهون وذبخواهم وهم نائمون (٢) .

ونتيجة لهجوم الهون السابق اتخذت حكومة الامبراطورية الرومانية الشرقية الاجراءات الضرورية لاصلاح وترميم الولايات التي عاث فيها الهون فسادا ، كما اعيد بناء الاسطول ، واستغرق تنفيذ ذلك المشروع سبع سنوات . وقد زود الاسطول بمائتي سفينة محاربة واخرى للتموين حتي اصبح جاهزا لحراسة الدانوب ، كما استقرت اعداد منه في ولايات مونييسيا وسكيثيا المجاورتين للنهر الكبير . ويضاف الي ذلك فقد تم تحسين وسائل الدفاع عن العاصمة القسطنطينية ببناء اسوار جديدة لها سنة ٤١٣ م ، وهي اول اسوار

(1) Thompson, op. cit., pp. 29, 32 - 33; Bury, op. cit., pp. 212 - 213, 271.

(2) Thompson, op. cit., pp. 35.

تبنى بعد تلك التي بنيت في عصر قسطنطين الكبير (١) .

ولكي تتجنب الحكومة الرومانية الشرقية عدااء الهون فقد اقدمت في عام ٤١٢م علي ارسال سفارة بقصد التعرف علي حكامهم ومحاولة احتوائهم ، وتشير احدى شذرات اوليمبودوروس الطيبى المصرى Olympiodorus الى قيامه على رأس سفارة من القسطنطينية الى هؤلاء البرابرة ، وانه ابحر شمالا عبر البحر الاسود . وقد ضلت السفارة في بداية الرحلة طريقها بسبب العواصف ولكنها وصلت اخيرا الي ملك الهون المسمى دوناتوس Donatus الذى كان نفوذه واسعا وذائع الصيت بدرجة اعلى من اولديس Auldis . وقد نجح السفير الرومانى في مهمته ، وبعد تبادل حلف اليمين بالصدقة بين الجانبين استطاعت السفارة قتل ملك الهون عن طريق الرشوة . وقد جاء بعد دوناتوس فى حكم الهون كاراتو Charato . وبطبيعة الحال كانت له اسبابه فى ابداء العدااء والكراهية لاعضاء السفارة الرومانية ، لكن الرومان الشرقيين كانوا قد احتاطوا للأمر ، فأسرع اعضاء السفارة بتقديم الهدايا الثمينة باسم الامبراطور ثيودوسيوس الثانى مما اغرى الملك البربرى علي البقاء في سلام مع الرومان (٢) .

ويكتنف الغموض نشاط الهون بعد هزيمة اولديس Auldis ولايعرف سوى معلومات قليلة عن قيام الهون بهجوم فاشل علي بلاد فارس في الفترة من سنتى ٤١٥ - ٤٢٢م مستغلين حالة الحرب بين الفرس والرومان بسبب

(1) Thompson, op. cit., pp. 29 - 30; Bury, op. cit., Vol. I, pp. 212 - 213,

ج . م . هسى ، العالم البيزنطى ، ترجمة د . رأفت عبد الحميد من ١٠٠ - ١٠١ دار المعارف ١٩٨٤ الطبعة الثانية *

(2) Thompson, op. cit., p. 8, 34.

اضطهاد الفرس للمسيحيين ، ورفض فارس سداد قيمة البضائع التي حصلت عليها من التجار للرومان ، ثم قام الهون بشن هجمات علي تراقيا ، وتلى ذلك عقد معاهدة يدفع بمقتضاها الرومان الشرقيون مبلغ ٢٠٠ ليبرا ذهبية سنويا الي الهون . ويبدو أن الهجمات علي اراضى الامبراطورية الرومانية الشرقية قد توقفت بعد سنة ٤٢٢م حتى ظهور روا أو روجيلاس ملكا على الهون (١) .

وفي العشرينات من القرن الخامس الميلادي تسلم روا Rua أو روجيلاس Rugilas القيادة العسكرية للهون بمشاركة اخويه منديوك او منديوش Mundiuch ، اوكتار Octar ويبدو ان كل زعيم منهم كان يسيطر على جزء من الاراضى الخاضعة للهون . ومعلوماتنا محدودة عن والد روا واخوته واسلافهم ، ولا نعرف على وجه الدقة كيف جاء هؤلاء الى السلطة في بلاد الهون وكل ما هو متوفر حاليا من معلومات هو ان اوكتار ومنديوش قد ماتا قبل اخيهما روا بعدة سنوات ، فقد كان روا هو القائد العسكرى الوحيد عندما ظهر اسمه لأول مرة فى التاريخ عام ٤٣٢م (٢) ، وكان يحكم القبائل التى تسكن مناطق سهول الهنغاريا (المجر) وان بعض قبائل السلاف والجرمان والسارماشيين قد دخلوا تحت طاعته ، وقد دفعت له حكومة الامبراطورية الشرقية جزية سنوية (٣) .

(١) د. السيد الباز العريشى ، مرجع سابق ص ٤٨ :

A. H. M. Jones, *The decline of the ancient world*, p. 78;

Thompson, *op. cit.*, p. 31.

(2) Thompson, *op. cit.*, p. 63; Bury, *op. cit.*, Vol. I. pp. 271 - 272.

(3) Cambridge *Medie Val History*, Vol. I, p. 360, Bury, *op. cit.*, Vol. I., p. 271.

وفي الوقت الذي نعمت فيه الامبراطورية الغربية بعلاقات سلمية مع الهون بل واستخدمتهم في كسر حدة الشعوب الجرمانية مثل البرجنديين والجيبيدائ والقوط مستفيدة من الصداقة التي نشأت بين أيتيوس Aetius قائد عام القوات الرومانية الغربية وروا ملك الهون (١) ، في ذلك الوقت سلك الهون مسلكا عدائيا واضحا تجاه الامبراطورية الشرقية ، واستغلوا فترات الضعف التي تمر بها وابتزازها بمطالب متعنتة او شن الحرب عليها . لقد استغل روا ملك الهون انشغال قوات الامبراطورية الشرقية بقيادة اسبار Aspar في الحرب ضد الوندال في شمال افريقيا ، وبالتالي خلو جبهة الدانوب من القوات الرومانية الشرقية التي تكفي للدفاع عنها . وهكذا ظهر اسلا Esla سفير روا الي القسطنطينية اوائل عام ٤٢٤م بمطالب متعنتة ، منها أن يعيد الرومان الهون الهاربين ، والا فأن ملك الهون سيعلن الحرب (٢) .

ولم تكن حكومة الامبراطورية الرومانية الشرقية مستعدة للحرب بسبب الظروف التي ذكرناها ، لذلك لجأت الي الدبلوماسية ، وهي السلاح الذي طالما نجحت الامبراطورية الرومانية الشرقية في استغلاله وقت الشدة والخطر المحقق بها وقد أرسلت القسطنطينية سفارة من أجل تهدئة غضب روا ، وتشكل وفد المفاوضات الروماني برئاسة القائد بلينثا Plintha وهو من أصل قوطي ، وكان اقوى رجل في بلاط ثيودوسيوس الثاني في تلك الفترة وقبل

(1) *camb. Med. Hist, Vol 1, p. 360, Thompson, op. cit, pp. 64 - 65; Bury, op. cit, Vol. 1, p. 272.*

(2) *Thompson, op. cit, pp. 70 - 71, Jones, op. cit, p. 80.*

وكان هؤلاء الهاربين من الهون الذين رفضوا الاعتراف بسيادة روا او الدخول تحت طاعته ، وفضلوا البقاء تحت رئاسة رؤسائهم المحليين واندمجوا ضمن الجيش الامبراطوري ومن هؤلاء قبائل : الاميلزوري Amilzuri الاتماري Himari التمسور Tunsures اليوسكي Boisci انظر : *Thomp- son, op. cit. p. 71.*

أن تبدأ السفارة مهمتها جاءت الاخبار بوفاة روا ملك الهون في ابريل - مايو سنة ٤٣٤م . وقد احس الرومان الشرقيون براحة كبيرة لموت الزعيم الهوني ، وادى البطريرك بروكلوس Proclus ٤٣٤ - ٤٤٧م صلاة شكر بعد سماعه الخبر ، وانتشرت شائعات عن انه موت روا كان نبوءة جاءت في سفر حزقيال ، وان الرب قد انتم منه ، وفي ذلك دلالة علي مدي الرعب الذي كان يسود الرومان الشرقيين من ملك الهون (١) .

ولم تتم فرحة الشعب الروماني بوفاة روا Rua ، فقد خلفه اثنان من أبناء اخيه منديوك Mundiuch هما بليدا واتيلا Bleda & Attila ولم يلعب بليدا دورا مهما في تاريخ الهون ، فقبض أتيلا علي زمام الأمور كلها وشكل خطورة كبيرة علي الامبراطوريتين الشرقية والغربية علي السواء ، وقررت السلطات الرومانية الشرقية سبر غور الحاكمين الجديدين في بلاد الهون ، فتقرر سفر بلنثا Plintha ومعه ابيجينيس Epigenes الذي كان متكلمًا مشهورا . ووصل الوفد الروماني الي مدينة مارجوس Margus الشهيرة في سويسيا العليا ، وهي مدينة تجارية مهمة ، ولعبت اسقفيتها دورا مهما في لحرب بين الهون والرومان (٢) .

وقابل بليدا Bleda واتيلا السفارة الرومانية ، ودارت المفاوضات وهم علي ظهور الخيل كعادة الهون ، وعقدت في نهاية الامر معاهدة بين الجانبين سنة ٤٣٥م عرفت باسم معاهدة مارجوس ، وقد نصت علي مضاعفة الجزية السنوية التي يدفعها الرومان الشرقيون لتصبح ٧٠٠ ليبرا ذهبية ، وكانت في

(1) Thompson, *op. cit.*, pp. 71 - 73.

(2) Camb. Med. Hist., Vol. I, p. 360; Thompson, *op. cit.*, pp. 72 - 74; Bury, *op. cit.*, Vol. I, p. 272.

عهد روا ٣٥٠ ليبرا ذهبية ، وعدم قبول الرومان الهون الفارين من حكامهم مع تسليم الذين هربوا من قبل ، ودفع فدية للاسرى الرومان بواقع ٨ سوليدا Solidi عن كل اسير روماني . وأشار بليدا واتيلا الي معاهدة قديمة مع روا وافق بمقتضاها الرومان في تاريخ غير معروف علي منح الهون حقوقا تجارية في بعض أسواق المدن الرومانية ، وقد اعيد تأكيد هذه الحقوق ، فأصبح من حق التجار الهون ان يتاجروا بنفس المزايا التي يتمتع بها التجار الرومان . ومن الواضح ان شروط هذه الاتفاقية كانت جميعها في صالح الهون لاسيما الشرط الذي نص علي عدم قبول لاجئين هون من امبراطورية اتيلا ، فالهدف من ذلك كان اضعاف الجيش الروماني لان الفرق الرومانية العاملة بجوار نهر الدانوب كانت تزود بكثير من البرابرة الهون وغيرهم (١) .

وقضى اتيلا السنوات القليلة بعد عقد معاهدة مارجوس سنة ٤٢٥م في اخضاع بعض الشعوب المجاورة له مثل شعوب سكيثيا Scythia وسوروجي Sorogi ، فكل الشعوب الواقعة بين الالب والبحر البلطي من ناحية ، وبين بحر الخزر Cospion Sea او الى الغرب منه بقليل وبين خط لا يعرف شرقي الراين اعترفت بأتيلا وبليدا حاكمين لهم . وفي سنة ٤٤٠م ظهرت لاتيلا فرصة جديدة لتهديد الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وفي تلك السنة اشتركت جيوش تلك الامبراطورية في عمليات عسكرية منظمة في شمال افريقيا بعد ان سقطت قرطاجة في يد الوندال في اكتوبر سنة ٤٣٩م ، كما احتل

(1) Thompson, op. cit., pp. 73 - 75; Bury, op. cit, Vol, I, p. 273; Jones, op. cit; p. 80, Camb. Med. Hist. Vol. I, p. 362.

وعن عادات الهون ونظمهم العسكرية انظر : د. اسحاق عبيد ، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ١١٢ .
والد Libra ليبرا كما جاءت في المورد وحدة وزن رومانية قديمة تعادل ٢٢٧٫٤٥ جرام .

المهاجمون الوندال رودس بهدف اعاقه طريق القمح من مصر الي القسطنطينية التي باتت هي الأخرى مهددة من الاسطول الوندالي المرابط في قرطاجة بل وانتشرت شائعات بأن جيسريك ينوي مهاجمة مصر أيضا . والواقع ان فقدان شمال افريقيا كان كارثة ضخمة للشرق والغرب على السواء واصبح ماعداها من أحداث في مكان ثانوى . وكان اتيلا في ذلك الوقت صديقا لجابزويك ملك الوندال بعد ان جمعتهما المصالح المشتركة في عداوة القوط في الغرب الاوربي من ناحية والرومان الشرقيين من ناحية اخرى . هذا في الوقت الذي جاءت الاخبار بأن جيشا فارسيا تحت قيادة يزدجرد الثاني ٤٢٨ - ٤٥٢م قد شن هجوما على ارمينيا . ومع ان القوات الفارسية قد انسحبت بسرعة بعد ان هددت مؤخرتها هجمات الهون البيض الا ان الامبراطور ثيودوسيوس الثاني اضطر الى نشر قوات رومانية ضخمة لمواجهة الفرس ، وقد جاء الحشد العسكري علي حساب جبهة الدانوب في الشمال ، فخلت من المدافعين عنها بعد ان سحبت منها معظم الفرق العسكرية (١) .

ولم يعدم اتيلا الحجة او التبرير لعدوانه ، فاشتكى ان الجزية لم تسدد بانتظام ، وان اللاجئين الهون لم يسلموا اليه . ولما لم تهتم الحكومة الرومانية الشرقية بشكواه ظهر اتيلا علي الدانوب عام ٤٤١م وحاصر حصن راشيريا Ratairia وكان ذلك الحصن يقع ضمن المناطق التي يحق للهون فيها المتاجرة وفقا للمعاهدة السابقة بين روا (أروجيلاس) والامبراطورية الرومانية الشرقية . وقد تمكن الهون من القضاء علي القوات الرومانية التي كانت في

(1) Thompson, *op. cit.*, pp. 74 - 75, 76 - 79; Bury, *op. cit.*, Vol. I, p. 273; Jones, *op. cit.*; p. 80, *Camb. Med. Hist.* Vol. I, p. 362.

الحصن كما ذبحوا كثيرا من التجار الرومان . وقد احتج الرومان علي عملية احتلال الهون لحصن راشيرا وخرق معاهدة مارجوس التي تنص علي حرية التجارة وتأمينها لكلا الطرفين ، ولكن الهون اظهروا مزيدا من النوايا السيئة عندما اشتكوا بأن اسقف مدينة مارجوس - التي عقدت المعاهدة خارج أسوارها سنة ٤٣٥م بحضور بلنتا Plintha قد عبر الدانوب الي اراضي الهون وسرق مقابر الهون الملكية التي تقع علي الشاطئ الآخر للنهر ، كما استولي علي الكنوز المدفونة مع ملوك الهون ، فقدم الاسقف بذلك للهون المبرر الكافي لأعمالهم العسكرية وقد طلب أتتلا تسليم الاسقف فوراً ، وكذلك الهون الهاريين ، ولم يستطع السفراء الرومان سوى تقديم انكار هزيل للاتهامات التي وجهها الهون لهم ، فاستأنف اتتلا عملياته العسكرية ضد الامبراطورية الرومانية الشرقية (١) .

وعبر الهون الدانوب للاستيلاء علي المدن الكبرى علي شواطئه الجنوبية وتخريبها ، فسقطت مدينة فيميناكسيوم Viminacium وهي كوستولاكي Kostolac وقد كان سقوط هذه المدينة المهمة في يد الهون انذارا للرومان بما سيقع لبقية المدن الرومانية علي الجبهة . لقد سويت المدينة بالارض ووقع جميع سكانها في الأسر . وعندما زارها بروكوبيوس Procopius بعد ذلك بمائة عام ذكر ان المدينة قد هدمت من اساسها ، وظلت علي هيئتها المتهدمة حتى اعاد بناءها الامبراطور جستنيان . كذلك سقطت مدينة سينجيدونم Singidunam " بلجراد الحالية " وتم تخريبها ايضا وتركت مهجورة حتي عصر جستنيان . اما مدينة مارجوس Margus فسقطت بالخيانة بعد ان

(1) Thompson, op. cit., pp. 79 - 80, Bury, op. cit, Vol, I, pp. 273 - 274; Camb. Med. Hist. Vol. I, p. 362.

سلمها اسقفها طواعية للهون كي يضمن السلامة لنفسه . وكانت المناصة الكبرى في سقوط مدينة سرميوم Sirmium وأسر سكانها ، فهي نقطة الارتكاز ، أو محور الدفاع عن كل جبهة الدانوب ، وبذلك أصبحت ولايات البلقان تحت رحمة الهون (١) .

وتوقفت العمليات العسكرية في عام ٤٤٢م ضد الفرس والوندال ، وعادت القوات الرومانية الى جبهة الدانوب ، كما استدعى الامبراطور ثيودوسيوس الثاني الاسطول من صقلية ، ولكن الوقت كان متأخرا لاشتراك هذه القوات في القتال ضد الهون . وزاد الأمر سوءا نجاح مؤامرة اغتيال قائد الجيش في تراقيا التي كانت بمثابة قاعدة للعمليات العسكرية الهجومية ضد الهون . وفي خلال تلك الفتنة لم تكن هناك امكانية حشد قوات رومانية كافية للدفاع عن حدود الدولة ومقاومة الغزو الهوني ، فاضطرت الحكومة الرومانية الشرقية الي الدخول في مفاوضات صلح مع أتيل (٢) .

ويبدو ان استكمال حشد القوات الرومانية الشرقية قد شجع ثيودوسيوس الثاني علي رفض طلبات الهون او عدم سرعة الاستجابة لها - وعندما سمع اتيل باجابة الامبراطور انتابه الغضب الشديد وبدأ في مهاجمة الاراضي الرومانية المقابلة له واتجه شرقا علي طول الدانوب ، وبعد ان استولي اتيل علي عدد من الحصون الثانوية اعاد احتلال مدينة راشيار Ratiaria المكتظة بالسكان والواقعة علي الضفة اليمني للدانوب في موئيسيا العليا (وراشيارا هي مدينة ارتشر Artscher الحديثة في بلغاريا) . وتكمن

(1) Thompson, op. cit., pp. 80 - 81; Bury, op. cit, Vol, I, pp. 273 - 275.

(2) Thompson, op. cit., pp. 81 - 83; Bury, op. cit, Vol, I, pp. 274 - 275.

(3) Thompson, op. cit., p. 83.

اهمية تلك المدينة في أنها كانت قاعدة لاسطول الدانوب من ناحية ، كما انها كانت تضم احد مصانع السلاح من ناحية ثانية ، وقد دمر الهون كعادتهم المدينة عن آخرها وحملوا سكانها اسرى (١) .

وحقق استيلاء الهون على مدينة راشيارا الامن لمؤخرتهم ، فلا تستطع القوات الرومانية في تلك الحالة مهاجمة خطوط مواصلات الهون الخلفية عند اختراقهم للأراضي الرومانية الداخلية ، كما ان استيلاء الهون علي وادي نهر مارجوس او مورافا مكنهم من الوصول الي مدينة نيش Naissus ذات الاهمية الاستراتيجية ، وتقع في داكيا الوسطي كما انها كانت مركزا لمصانع الاسلحة في الامبراطورية وكثيفة السكان ؛ وعندما انسحب منها الهون ظلت مهجورة حتى اعاد بناؤها الامبراطور جستنيان مع باقى المدن الأخرى . واتجه الهون بعد ذلك جنوبا بغرب على نهر نيشافا Nischava ودمروا مدينة اخرى كبيرة هي سارديكا Sardica أو صوفيا " في العصر الحديث " وقد اخلت هذه المدينة من سكانها ، واصبح الطريق بذلك مفتوحا الي القسطنطينية . وقد اندفع الهون على الطرق العسكرية بمحاذاة نهر هيبروس Hebrus او مارتيزا Martiza وعندما سقطت مدينة فيلوبيوليس Philippolis في يد الهون أصبح الدفاع عن الولايات الاوربية صعبا وربما مستحيلا لانه عند هذه المدينة العتيقة فان الطريق من الشمال الى الجنوب أى من الـ Oescus علي الدانوب الي بحر ايجه يمر بالطريق القديم من البسفور الي الغرب . وقد تمكنت مدينتا هرقله وأدرنة من صد هجمات الهون الا ان مدينة اركاديوليس Arcadiopolis قد احتلها الهون واستولوا منها على غنائم واسلاب هائلة كما كان الاسرى فوق الحصر (١) .

(1) Thompson, op. cit., p. 84.

وأخيرا واجه الهون الجيش الجديد الذي اعده ثيودوسيوس الثاني وكان يقوده اسبار Aspar وهو من الالان ومعه القائدان الجرمانيان اريوبندوس Areobindus وارنجسكولاس Amegisclus ، وكان هؤلاء الثلاثة فى طليعة الجنرالات الجرمان الذين يعملون فى خدمة الامبراطورية ولكنهم لم يكونوا اندادا لأتيليا فى الحرب . وخاصة الثلاثة معارك متتالية خارج العاصمة لكنهم هزموا فيها جميعا شر هزيمة وتمكن الهون من قطع الطريق بينهم وبين العاصمة فاضطر الجيش الروماني الى التقهقر الى خيرسوننا " خرشنه " Chersonesas فوصل الهون بذلك الى قرب اسوار العاصمة واستولوا على حصن اثيراس Athyras غير ان اسطول الهون الضعيف التسليح لم يسمح بمهاجمة باقى حصون القسنطينية كما لم يقم الهون بأى محاولة للهجوم على العاصمة ذاتها واتجه أتيليا بدلا من ذلك الى خيرسوننا حيث هاجم بقايا الجيش الروماني ومزقه فى معركة فاصلة . ولم تحقق الامبراطورية من انتصارات سوى فى مدينة ازييموس الحصينة ، ولا يرجع ذلك الانتصار الى الجيش النظامي بل الى السكان المحليين الذين هاجموا قوات الهون المثقلة بالاسلاب والغنائم (١) .

ولم يكن امام ثيودوسيوس الثاني بعد هزيمة خيرسوننا من خيار سوى طلب عقد الهدنة ، وانيطت المفاوضات الى اناتوليوس Anatolius الذي كان قد تجح لتوه فى اثناء الحرب مع الفرس ، واصبح قائدا للجيش منذ سنة ٤٢٨م ، وكانت الشروط التى فرضها أتيليا قاسية ، لقد طلب تسليم اللاجئين الهون قورا ، والمتأخرات من الجزية وقدرها ستة آلاف ليبرا ذهبية اما مبلغ الجزية نفسه فقد زاد الى خمسة اضعاف ماكان عليه أى اصبح ٢١٠٠ (الفان ومائة

(1) Bury, op. cit., Vol. I, p. 275, Thompson, op. cit., pp. 84 - 85.

ليبراً ذهبية) كل عام وان تدفع الحكومة الرومانية عن كل اسير روماني تمكن من الهرب مبلغ ١٢ سوليدا مقابل ثمانية سوليدا Solida في اتفاقية عام ٤٢٥م ، وألا يستقبل الرومان بعد ذلك اى لاجيء هونى (١) .

وذهب سكوتا Scotta احد مساعدى أتيليا الي القسطنطينية لاستلام الذهب المتفق عليه وكذلك استلام اللاجئيين الهون ، ولكنه فوجيء بأن الرومان قد قتلوا كل الاسرى الهون الذين ابدوا عدم الرغبة في العودة شمالا عبر الدانوب ، و اراد القائد الهونى ان ينتقم من الرومان الشرقيين ، فاعلن ان لديه تقويضا باضافة شرط جديد للاتفاقية وهو ان كل رجال ازيموس Asemus يجب ان يسلموا جميعا للهون سواء كان هؤلاء من البرابرة او الرومان ، والا فان الجيش الهونى لن ينسحب كما ان الاتفاقية لن يتم التصديق عليها . ورأى اناتوليوس ومساعدته في المفاوضات ثيودولوس Theodulus قائد الجيش فى تراقيا ان الوفد الرومانى فى وضع حرج لايسمح برفض طلبات الهون ، ولم يحاول القائدان الرومانيات اغراء سكوتا بالتخلي عن ذلك الشرط الجديد بل تركزت جهودهما فى جعل أتيليا يتخلى عن رغبته الملحة فى مواصلة الحرب (٢) .

وكتب القائدان الرومانيان الى مواطنى ازيموس وخيروهم بين تسليم الاسرى الرومان الذين انقنوهم أو ان يدفعوا ١٢ سوليدا Solida عن كل رجل وطلب القائدان ايضا اطلاق سراح الهون الذين تم أسرهم . وقد أجاب سكان

(1) Thompson, op. cit., pp. 85 - 86; Camb, Med. Hist., Vol. I, pp. 362 - 363, Jones, op. cit, p. 80.

ولى ببورى يدفع الاسير الرومانى عشرة سوليدا انظر :

Bury, op. cit, Vol. I, p. 275.

(2) Thompson, op. cit., pp. 83 - 86.

المدينة بأن كل الرومان قد عادوا الى منازلهم ولا يمكن استدعاؤهم أو جمعهم أما الأسرى الهون فقد تم قتلهم جميعا باستثناء شخصين فقط قد تم الاتفاق عليهما على أساس مبادلتهم ببعض الأطفال الذين أسرهم الهون خارج اسوار المدينة . وعندما سمع أتيل ذلك بحث عن هؤلاء الاطفال المطلوبين ولكنه لم يعثر على أحد منهم وقد وافق الرومان علي تأكيدات أتيل بفقدهم ، وأعاد الرومان الاسيرين الهونين المتحفظ عليهما وهكذا تم التوقيع والتصديق علي معاهدة السلام بين الهون والرومان في خريف سنة ٤٤٢ م ، وعرفت باسم اتفاقية اناتوليوس الاولى (١) .

ولم تطمئن حكومة الامبراطورية الشرقية الي نوايا اتيلارغم توقيع اتفاقية السلام معه . وعلي الرغم من المصاعب الكبيرة التي واجهت الامبراطورية الشرقية علي جبهتي ارمينيا وفارس ، فقد بذلت الامبراطورية الشرقية ماوسعها من جهد لاصلاح وتقوية جبهة الدانوب في الشمال . وقد صدرت الاوامر الحازمة الي نوموس رئيس البلاط وهو اكثر الوزراء ثقة لدى الامبراطور ثيودوسيوس الثاني بأن يعيد بناء وتقوية الحصون التي سبق ان هاجمها الهون علي طول الدانوب سنة ٤٤١ م ، وان يحشد في تلك المنطقة كل الفرق العسكرية المتاحة وان توضع تلك الفرق في حالة الاستعداد القصوي . وقد شملت تلك الاجراءات ايضا اعادة بناء وتقوية اسوار القسطنطينية . ومما يدل على نجاح نوموس في مهمته ترقيته الي وظيفة قنصل عام ٤٤٥ م . وفي خلال تلك الفترة استقبلت القسطنطينية العديد من سفراء أتيل الذين تم أغدق الهدايا الثمينة عليهم وارسال اخري الي أتيل . وهكذا تمتعت ولايات الليريا وتراقيا بفترة راحة من الغزو الهوني لمدة ثلاث سنوات بعد

(1) Thompson, op. cit., p. 86.

توقيع اتفاقية السلام الأولى (١) .

واستغل اتيلا فترة استقرار السلام على جبهة الدانوب كى يعيد ترتيب الارضاع السياسية داخل مملكته لتقوية نفوذه والانفراد بالحكم . وقد تمكن اتيلا بالفعل من قتل بليدا ، وبذلك اصبح اتيلا السيد المطاع الوحيد فى كل بلاد الهون دون منافس حتى وفاته ، بل اصبح اتيلا بالفعل اقوى رجل فى اوربا ، واعتبر نفسه سيذا على الامبراطورية الشرقية لان امبراطورها يدفع الجزية له . ولكى يؤكد اتيلا سيادته على كل الهون ادعى حصوله على سيف مارس اله الحرب الذى سيمكنه من الانتصار على كل الاعداء . واصبح تحدى اتيلا يعنى فى نظر الهون تحدى القدرة المقدسة لاله الحرب (٢) .

واذا كانت اراضي الامبراطورية الشرقية قد نجت خلال السنوات من ٤٤٢م الى سنة ٤٤٦م من هجمات الهون ، فانها قد تعرضت لكوترث اخرى طبيعية ترتب عليها وفاة الالاف من الرجال وقطعان الماشية نتيجة لنزول صقيع شديد ، كما ان العواصف الممطرة دمرت ولاية بيثينيا وغرقت المدن الداخلية بسبب فيضان الانهار . وفى سنة ٤٤٥م حدثت مشاغبات فى السيرك المعروف فى القسطنطينية سقط فيها عدد كبير من الضحايا . وتلى ذلك انتشار الطاعون الذى مات بسببه عدد كبير من المواطنين ، وظلت تلك الارضاع السائدة حتى سنة ٤٤٦م ، وقلت الامدادات التموينية للعاصمة ، ثم تكرر الطاعون مرة اخرى ، فاصيبت الحكومة الرومانية الشرقية باضطراب وانزعاج شديدين وباتت عاجزة عن تصريف الامور ، وانعكس ذلك على جبهة

(1) Thompson, op. cit., pp. 87 - 88, Bury, op. cit, Vol. I, p. 276; Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol. I, p. 103, "Madison 1958".

(2) Bury, op. cit, Vol. I, pp. 275 - 277; Thompson, op. cit., p. 89; Camb. Med. Hist. Vol. I, p. 364.

القتال الشمالية المواجهة للهون على نهر الدانوب (١) .

واستغل أتيل من جانبه الظروف الينة التي تمر بها الامبراطورية الرومانية الشرقية ، واخذ يكرر مطالبه السابقة ، ويمهد لعبور الدانوب في ربيع سنة ٤٤٧م . وكان هجوم الهون في هذه السنة اوسع نطاقا مما حدث سنة ٤٤١م ، واشترك فيه مع الهون كثير من الشعوب الخاضعة لهم ، فالجبيدای Gepids اشتركوا بقيادة ملكهم ارداريك Ardarc والقوط الشرقيون بقيادة فالامير Valamir واخترق هجوم الهون ولايات سكيثيا السفلي ومثيسيا ومناطق اخري ابعد الى الشرق فتجاوز ذلك الحصون الجديدة التي بناها نوموس ، والواقع ان هجوم سنة ٤٤٧م كان الفرصة الوحيدة التي اتيح فيها للهون مواجهة الجيش الروماني باكملة (٢) .

وعندما بدأت قوات الهون في التحرك صوب الاراضى الرومانية الشرقية وقعت كوارث ضخمة في الامبراطورية ، فقد ضربت سلسلة من الهزات الارضية المدن الرومانية خلال فترة اربعة اشهر من فبراير سنة ٤٤٧م . وكانت تلك الهزات من أسوأ ماواجه الرومان طيلة تاريخهم ، فاخترقت قرى باكملها ، وكانت الخسائر ضخمة في البر والبحر وعانت تراقيا والهلبونت والكبكلاديس اكثر من غيرها ومما زاد الحالة سوءا هطول امطار كثيرة بعد بداية الهزة الاولى بثلاثة او اربعة ايام ، فغرقت اماكن كثيرة ، وسقطت مباني عديدة في القسطنطينية واسوار وحوائط وابراج لايقبل عددها عن سبعة وخمسين ، ودفن عدد كبير من السكان تحت الانقاض وتلى ذلك انتشار الطاعون فمات به عدة الاف من السكان . وقد اوشكت القسطنطينية في تلك

(1) Thompson, op. cit., p. 90.

(2) Thompson, op. cit. pp. 90 - 91, Bury, op. cit, Vol. I, p. 275.

الظروف علي السقوط عند اول هجوم لولا قيام الوالى فلافيوس قسطنطيوس ورجال القسطنطينة بمواجهة الموقف بجدية حتى تم اعادة بناء الاسوار وزيادة سمكها وترميم الحصون المتهدمة ، كما عهد بالدفاع عن العاصمة الى القائد فلافيوس زينون (١) .

وتقدمت القوات الرومانية من مدينة مرقية او مرقيا نوبل Marciamople يقودهم القائد الجرمانى ارنجسكولوس . وعلى الرغم من الشجاعة الكبيرة التى ابداهما ذلك القائد الا انه سقط قتيلاً في المعركة بعد ان كبا به جواده علي شاطئ نهر اوتوس Utus . وقد سقطت مدينة مرقية في يد العدو وظلت مهجورة قرابة مائة عام حتى جدها الامبراطور جستنيان ولم يتمكن الهون من اقتحام القسطنطينية بعد ان اعيد بناء اسوارها ، لكن الهون دمروا ولايات البلقان لاسيما الليريا وتراقيا ، ولايات داكيا ومويسيا وسكثيا ، ثم اندفع الهون جنوباً في بلاد اليونان حتى ثيرموپلاى Thermopylae . ويقال بأن ما بين سبعين ومائة مدينة احتلها الهون في ذلك الهجوم ، وتم ذبح الرهبان الذين لم يتمكنوا من الفرار ، وقد تكبد الهون ايضاً خائر فادحة . وقد كان ذلك الهجوم هو آخر انتصارات اتيليا علي الرومان الشرقيين (٢) . والامر الملاحظ هنا ان الغرب الاوربي لم يتحرك ولم يقدم اى مساعدة للامبراطورية الشرقية بسبب العلاقات الودية التى كانت بين اتيليا وايتيوس قائد عام قوات الامبراطورية الغربية في تلك الفترة .

لقد وصلت الامبراطورية الرومانية الشرقية عند نهاية عام ٤٤٧م الى

يراجع : (1) Thompson, op. cit., pp. 91 - 92, Bury, op. cit, Vol. I, p. 270.

(2) Thompson, op. cit., pp. 92 - 93; Bury, op. cit, Vol. I, p. 275, Camb. Hist. Vol. I, p. 363.

حالة من الضعف حتي أصبحت غير قادرة علي مواجهة العسكرة مع اتيلا ، وبالتالي كان عليها الاعتماد علي الدبلوماسية في الدرجة الاولى خلال السنوات الثلاث التالية ، أما اتيلا فلم تتغير نواياه التوسعية في اوربا الشرقية ، فأمة الهون لا يمكن ان تعيش في سلام لفترة طويلة لان ذلك ضد طبيعتهم التي جبلت علي الحرب والسلب والنهب . وفكر الامبراطور ثيودوسيوس الثاني في التحالف مع بعض فصائل الهون المعرضة لحكم اتيلا مثل قبائل الاكاتزيري Acatziri التي رغم معارضتها لحكم اتيلا كانت في حالة هدوء نسبي . ومن سوء حظ الامبراطور ثيودوسيوس الثاني ان فشلت سفارته لهذا الغرض بل جاءت بعكس ما كان يهدف اليه ، وطلب احد زعماء الكاتزيري تدخل اتيلا ضد باقي القبائل ، وانتهى الامر باخضاع كل الكاتزيري لسيادة اتيلا (١) .

وعادت المفاوضات من جديد بين الحكومة الرومانية الشرقية والهون عام ٤٤٨م وكان المفاوض الرئيسي في الجانب الروماني هو اناطوليوس Anatolius الذي نجح من قبل في عقد اتفاقية عام ٤٤٣م . وتشير معظم شروط الاتفاقية الجديدة الي انها كانت اكثر قسوة من تلك التي وقعت عام ٤٤٣م ، لقد اصر اتيلا علي اخلاء مساحة كبيرة من البلاد الواقعة جنوب الدانوب من سكانها الرومان . وتمتد تلك المساحة من مدينة سنجدونم Singgidunum علي حدود بانونيا الي مدينة نوفاي Novae اي حوالي ثلاثمائة ميل طولاً بحرق

(١) كان الزعيم الاكاتزيري كوريداكوس *Curdachus* يري نفسه في وضع اسمي واعطي من باقي الزعماء . وأخطأ السفير الروماني وجعله في المرتبة الثانية عند تقديم هدايا ثيودوسيوس ، فغضب كوريداكوس وطلب تدخل اتيلا ضد من اغتصبوا سلطته .
انظر :

Thompson, op. cit., pp. 95 - 97.

حوالى مائة وعشرين ميل ويعبارة اخري فان كل داكيا Dacia واجزاء من ثلاثة ولايات اخري تكون خالية من السكان ووسائل الدفاع عنها ، وان يكون خط الدفاع عند مدينة نيش Naissus ، وبذلك لم يعد ساحل نهر الدانوب بكل حصونه ومدنه الكبرى التي اصبحت خرابا يمثل خط الحدود الشمالى للامبراطورية الشرقية ولايعرف عن الشروط الاخري للمعاهدة سوى ان الجزية لايد ان تستمر . وتم عقد هذه المعاهدة عام ٤٤٨م وعرفت باسم معاهدة أناتوليوس الثانية وقد تركزت جهود الدبلوماسية الرومانية الشرقية طيلة العامين التاليين في محاولات تخفيف شروطها (١) .

واستمر اتيليا برغم عقد الاتفاقية الاخيرة في ارباك حكومة القسطنطينية بالسفارات والشكاوي والطلبات المتعددة ، من ذلك السفارة التى وصلت الى القسطنطينية في ربيع عام ٤٤٩م برئاسة ايديكو Edeco احد نواب اتيليا وعضوية اورستيس Orestes وهو فى الاصل مواطن رومانى من باتونيا ويعمل فى خدمة الزعيم الهونى . وجاء فى الخطاب الذى يحمله ايديكو ان الرومان الشرقيين لم ينفذوا شروط اتفاقية اناتوليوس الثانية ، وانهم فشلوا فى اخلاء المنطقة الواقعة جنوب الدانوب . وهدد اتيليا بشن الحرب من جديد . ونتيجة لتلك التهديدات وعجز الرومان الشرقيين عن مواجهة اتيليا عسكريا فقد وضع احد وزراء ثيودوسيوس الثانى الاقوياء وهو الخصى كريسافىوس Chrysaphius خطة لاغتيال اتيليا والخلص منه عن طريق رشوة نائبه ايديكو بمبلغ خمسين الف ليبرا ذهبية وان يعود ايديكو للعيش فى القسطنطينية فى احد القصور الفخمة التى اعجب بها مكافأة له فى حالة

(1) Thompson, op. cit. p. 98, Bury, op. cit, Vol. 1, pp. 275 - 276, Camb. Med. Hist. Vol. 1, P. 363.

نجاحه في تنفيذ المؤامرة (١) .

وعاد إيديكو الي سيده اتيلا ضمن سفارة رومانية علي رأسها مكسيمين Maximin ورافق السفارة المؤرخ بريسكوس Priscus ومن سوء حظ الرومان ان المؤامرة كشفها اتيلا فاستشاط غضبا وارسل خطابا الي الامبراطور ثيودوسيوس الثاني مملوءا بعبارات التهكم والتحقير ، وطلب ارسال سفارة رومانية علي مستوى عال مثل رتبة قنصل . وكانت حكومة الامبراطورية الشرقية قد شهدت صراعا علي السلطة بين الخصي كريسافيوس وبين قائد الجيش القوي زينون Zeno الذي ازداد نفوذه منذ نجاحه في الدفاع عن العاصمة سنة ٤٤٧م ، وتوليها القنصلية عام ٤٤٨م ثم اصبح قائدا عاما للجيش عام ٤٤٩م وازدادت الهوة بين الجانبين بسبب فشل خطة زواج قسطنطيوس سكرتير اتيلا من ابنة ساتورنينوس Saturninus أحد اثرياء الامبراطورية الشرقية ، فقد قام زينون باختطاف الفتاة وتزويجها لاحد اتباعه المسمى روفوس Rufus فاعتبر اتيلا ذلك عملا معاديا له ، فلما قام ثيودوسيوس بمصادرة ممتلكات روفوس اعتقد زينون ان كريسافيوس هو المحرض علي ذلك الاجراء ، هذا في الوقت الذي ازداد العداء بين الهون والامبراطورية الشرقية بسبب مؤامرة اغتيال اتيلا (٢) .

واسرعت الحكومة الرومانية الشرقية الي تحسين علاقاتها مع اتيلا ، وارسلت سفارة علي رأسها أناتوليوس وثوموس للمفاوضة واقناع اتيلا

(١) عن تفاصيل تلك المؤامرة انظر : -

Thompson, op. cit., pp. 98 - 121; Bury, op. cit., Vol. I, pp. 276 - 279, R. S. Hoyt & S. Chodorow, Europe in the middle ages, p. 67, "Third, Jones, op. cit., p. 80, Camb. Med. Hist., Vol. I, pp. 363 - 364, 414.

(2) Thompson, op. cit., pp. 101 - 107, 121 - 122.

بضرورة الحفاظ علي معاهدة السلام . وابتحرت السفارة الرومانية في ربيع عام ٤٥٠م وعبرت الدانوب الي اراضي الهون ، فاسرع اتيلا جنويا لمقابلاتها عند نهر دريكون Drecon وقد استطاعت السفارة ترضية اتيلا واطفاء نار غضبه بالهدايا الثمينة التي قدمت له حتى حصلت منه على وعد باحترام شروط معاهدة السلام لعام ٤٤٨م ، وألا يطالب باعادة اللاجئين الهون . وكان النجاح الكبير للسفارة في اقناع اتيلا بالانسحاب من كل الاراضى الواقعة جنوب الدانوب ، وهى الاراضى التى انسحب الرومان منها بناء علي طلب اتيلا عام ٤٤٨م . وبالإضافة الى ذلك طلب السفارة الرومانية اطلاق سراح بيجيلاس احد المتآمرين علي قتل اتيلا . وقد وعدت الحكومة الرومانية بأن سكرتير اتيلا سوف يحصل على زوجة رومانية لاتقل نبلا وثراء عن ابنة ساتورنينوس Saturninus وتخفيف غضب اتيلا لفتت الحكومة الرومانية نظره بأنه لم تجر العادة بين الشعب الرومانى علي اكراه فتاة للزواج غير ارادتها . وقد عبر اتيلا عن سعادته بلقاء السفارة بأن اغرق اعضاءها بالهدايا الثمينة من الخيول والجلود والفراء التى يحب حكام الهون ارتداها . كما تخلى اتيلا عن طلب اعدام كريسافىوس ، وقد رافق السفارة عند عودتها قسطنطينوس سكرتير اتيلا لتسلم عروسه ، وقد اختار له ثيودوسيوس ارملة ابن بلنثيا الذى سبق ان عقد مع الهون اتفاقية مارجوس سنة ٤٢٥م . وهكذا تم عقد معاهدة اناتوليوس الثالثة عام ٤٥٠م (١) .

والواقع ان تفاوض اتيلا غير العادي في مفاوضاته مع الرومان الشرقيين يمكن تفسيره في ضوء ماحدث فيما بعد من غزو غالة سنة ٤٥١م

(1) Thompson, op. cit., pp. 122 - 123.

وكان ابن بيجيلاس ضمن السفارة وقد حمل معه مبلغ ٥٠ ليبرا ذهبية فدية لابييه بناء علي طلب اتيلا

وايطاليا سنة ٤٥٢م ، فقد اراد ان يحمى مؤخرته عندما يكون مشتبكا في حرب مع الغرب الاوربي وهكذا تناقض اناتوليوس ونوموس في ظروف مناسبة تماما للرومان ، ولا بد ان الحكومة الرومانية الشرقية قد ابدت سرورها عندما علمت في الشهر الاولي من سنة ٤٥٠م ات اتيلا قد قرر الهجوم علي القوط المتمركزين في تولوز ، وانه سيفعل ذلك بصفته حليفا للحكومة الرومانية الغربية وامبراطورها فاننشيلن الثالث . وقد كان عقد الاتفاقية الثالثة مع الهون يمثل نجاحا كبيرا للدبلوماسية الرومانية الشرقية ، واصبح الرومان الشرقيون مقتنعين بأن السلام علي جبهة الدانوب قد ساد وتأكد منذ صيف ٤٥٠م . اما اتيلا فقد ظن انه قد أمن مؤخرته بعقد سلسلة المعاهدات مع الامراتورية الشرقية حتي اوائل عام ٤٥٠م . وطالما كان الامبراطور الشرقي ثيودوسيوس الثاني علي قيد الحياة فان اتيلا لم يتوقع اي تحركات عسكرية علي جبهة الدانوب ، فقد كان الامبراطور ثيودوسيوس الثاني ضعيف الشخصية كما وقع تحت تأثير كريسافيوس وغيره ولم يكن له من الامر شيء ، وادي شعوره باليأس الي الانصراف الي حياة العزلة والتقوي والورع وتحصيل العلم . وقد لخص بريسكوس موقف الامبراطورية الرومانية الشرقية في نهاية عهد ثيودوسيوس الثاني بقوله ان الحكومة الرومانية الشرقية كانت تطيع كل تعليمات اتيلا وان اوامره لها كأوامر السيد (١) .

غير ان تطورات الاحداث داخل الامبراطورية الشرقية ادت الي خلق

(1) Thompson, op. cit., pp. 123 - 124, 129 - 130, 188 - 189,

د. السيد اليان العريشي - مرجع سابق ص ٤٥ ، د. محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ٣١ " دار المعرفة الجامعية ، سنة ١٩٩٤م " . وعن غزو غالة وايطاليا انظر : د. احمد عبد الكريم ، الصراع الدولي الغرب الاوربي في منتصف القرن الخامس الميلادي مجلة المؤرخ المصرى كلية الآداب - جامعة القاهرة - العدد الثاني عشر يناير ١٩٩٤م .

موقف جديد في العلاقات مع اتيلا ، فقد سقط الامبراطور ثيودوسيوس الثاني من علي جواده وهو في رحلة صيد بالقرب من نهر ليكوس Lycus يوم ٢١ يولييه سنة ٤٥٠ م ، وكانت اصابته خطيرة ، فتوفى بعد ايام قليلة من ذلك التاريخ ، ولم يترك ثيودوسيوس الثاني ابنا يخلفه في الحكم ، كما لم يعين خلفه له في منصب الامبراطور ، وقد انتخب الناتور الترييون مارقيان وكان شخصية مجهولة تولى من قبل منصب مساعد اسبار . وهكذا تولى الامبراطور مارقيان عرش الامبراطورية الشرقية في ٢٥ اغسطس واتخذ سياسة حازمة تجاه الهون ، فرفض سداد الجزية ، واعلن استعداده للحرب وفي خلال شهور قليلة اصبح الرومان الشرقيون علي حافة الحرب مع اتيلا ، وتلاشي السلام الذي حققه ثيودوسيوس الثاني بصعوبة بالغة خلال احدي عشرة سنة (١) .

وهكذا لم تكن جبهة الدانوب عام ٤٥١ م هادئة كما كان يتمنى اتيلا عندما عقد معاهدته مع اناتوليوس ونوموس في ربيع العام السابق . وبالرغم

(1) Thompson, op. cit., pp. 134 - 135, Lot., op. cit., pp. 217 - 218, Camb. Med. Hist. Vol. I. p. 364. Jones, the decline of the ancient world, pp. 87 - 88,

د. محمد مرسى الشيخ ، مرجع سابق ص ٢٢ ، ربما كان تعيين مارقيان ، قد تم باشارة من ثيودوسيوس الثاني اثناء مرضه انظر :

Bury, op. cit., Vol. I, pp. 235 - 236.

وكان كل من ثيودوسيوس الثاني ومارقيان ينتميان الي طبقة اجتماعية واحدة مختلفة فثيودوسيوس الثاني ينتمي الي جماعة الخضر المؤيدين من التجار والحرفيين والصناع ورجال السفن ، وعلى ذلك فان سياسته التي خطط لها كريسافيوس وكان من الخضر ايضا تهدف الي مهادنة الهون لتتسبب اتجارة بين الجانبين مما يحقق مصالح الحرفيين . اما مارقيان فكان مؤيدا من جماعة الزرق وهم الارستقراطيون كبار الملوك ، وقد قل اهتمامه بالتجارة ، وبالتالي ساءت علاقته بالهون بعد ان قلب سياسة كريسانيوس ونوموس والمؤيدين لهما . انظر :

Thompson, op. cit., pp. 190 - 192, Jones, op. cit., p. 88.

من تهديدات اتيلا فان مارقيان اصر علي موقفه الشجاع في عدم الخضوع
ارسال الجزية الي الزعيم الهوتي . وارسل مارقيان من قبله السفير
ابولونيوس Apollonius لابلاغ اتيلا بموقفه . وقد استاء اتيلا من ارسال ذلك
السفير ، ورفض منحه شرف مقابلته ، فان الهون الذين كانوا علي وشك
الهجوم علي غالة انتابهم الغضب الشديد عندما علموا ان السفير الروماني
الشرقي لم يحمل معه الجزية وانه جاء فقط للمفاوضة . فقد ارسل اتيلا
رسالة شديدة اللهجة الي السفير تدعوه الي تسليم مامعه من الهدايا التي
حملها باسم الامبراطور ، وهدده بالموت في حالة الرفض ، وذهبت تلك
التهديدات كلها ادراج الرياح ، ولم تؤثر في صلابة موقف ابولونيوس ،
فاعلن انه سيسلم مامعه من هدايا فقط في حالة استقباله استقبالا لانقا
يتناسب مع مركزه كسفير للامبراطورية الرومانية الشرقية . اما اذا قتل فان
الهون سيحصلون علي مامعه من هدايا ، ولكنهم لن يحصلوا علي مثلها في
المستقبل . واخيرا سمح اتيلا للسفير بالرحيل دون ان يراه ، وتدهور بذلك
الموقف بين الهون والرومان الشرقيون تدهورا خطيرا (١) .

ونحن ندرك الصعوبة الكبيرة التي واجهت اتيلا في تقريره أي الجبهتين
يبدأ بالهجوم عليها ، واخيرا قرر اتيرا السير في مشروعه الاصلي بالهجوم
علي الغرب ، لقد سبر اتيلا من قبل غور الامبراطورية الشرقية وعرف في
مواقف كثيرة كيف يمتص تهديداتها ، وسلسلة مفاوضاته الطويلة معها
اكسبته خبرة في تطبيع وتطويع العلاقات معها الي مصلحته ، اما في الغرب
فهناك اكثر من عدو يجب مواجهته كما ينبغي تقوية نفوذ الهون في غرب
اوروبا . ومهما كان الامر فقد قاد اتيلا في يواكير عام ٤٥١م جيشا كبيرا

(1) Thompson, op. cit., p. 143.

في اتجاه غالة مكونا من الهون والعناصر الجرمانية الخاضعة لهم . وقد لقي الجيش الهزيمة على يد الحلفاء الأوربيين في معركة مورياك Mauriac او سهول قطالونيا في ٢٠ يونيو من نفس العام . واضطر الي الانسحاب وقد كشفت تلك المعركة عن براعة أيتيوس Aetius قائد عام قوات الامبراطورية الغربية السياسية والعسكرية ، ومن ناحية اخرى فقد ادت هزيمة اتيلا الي تلاشى اسطورته كغازي لايقهر ، كما حرمته من نفوذه الي غرب اوربا ، وفي نفس الوقت كان آخر انتصار يحزره جيش يحمل شارة الامبراطورية في اوربا الغربية (١) .

وبالرغم من هزيمة الهون في غالة والخسائر الكبيرة التي تكبدها الا ان اتيلا لم ينس تحدي الامبراطور الشرقي مارقيان له ، فكبرياء اتيلا منعه من تقدير موقفه العسكري تقديرا صحيحا . وفي سبتمبر سنة ٤٥١م اعطي اتيلا اشارة لما سيفعله في المستقبل ، فانقضت مجموعة من الهون علي الليريا الشرقية ونهبتها . وقد منع قلق الامبراطور مارقيان علي جبهته الشمالية من عقد المجمع الديني الكبير في نيقية Nicaea كما خطط من قبل ، فعقد الاساقفة اجتماعهم في خلقيدونيا بدلا منها . وعندئذ لم يسطع مارقيان ان يعطي اهتمامه الكامل لان هجوم الهون عبر الدانوب جعل مارقيان يقرر النزول الي ميدان القتال سبنفسه . ويبدو ان خطوات مارقيان العسكرية كان

(1) Thompson, op. cit., pp. 140 - 143, Bury, op. cit, Vol. I, pp. 293 - 294, Jones, op. cit, p. 80, Camb. Med. Hist., Vol. I, p. 364,

تورمان فغ كانتور ، التاريخ الوسيط ، ترجمة د. قاسم عبده قاسم ، ص ١٦١ .
وعن معركة سهول قطالونيا بالتفصيل انظر :

د. احمد عبد الكريم سليمان : الصراع النولي في الغرب الاوربي في منتصف القرن الخامس الميلادي - مجلة المؤرخ المصري يناير ١٩٩٤م ، ص ٢٢٨ - ٢٤٢ .

لها نتائجها الايجابية ، فاجبرت اتيلا علي تغيير وجهته والاتجاه مرة اخرى الى الغرب الاوربي . وقد قرر اتيلا غزو شمال ايطاليا ، فقد اعتقد ان الامبراطورية الغربية كانت السبب في الكارثة التي حلت به في غالة . كما لم يتذكر الجميل الذي اسداه له ايتيوس بتمكينه من الانسحاب من غالة في سهولة ويسر ، بل اعتبر انفصال الجيش القوطي عن الرومانى الغربى ميزة عسكرية تمكنه من هزيمة كل جيش علي حدة (١) .

وحشد اتيلا عام ٤٥٢م جيشا مثل الذى قاده عام ٤٥١م ، واخترق به ولايات بانونيا ، وعبر جبال الالب الي ايطاليا في بداية حملته ، ولم يكن مصير تلك الحملة الجديدة احسن حالا من الحملة السابقة علي غالة ، فانتهى مصيرها هي الاخرى الي الفشل الذريع ، ولم يحقق اتيلا اهدافه في اخضاع ايطاليا لسلطانه وكانت هناك عوامل عديدة وراء فشل تلك الحملة ، منها انتشار الطاعون والمجاعة في ايطاليا ، كما ان الامبراطور الشرقي مارقيان اراد الانتقام لاهانة سفيره من اتيلا في العام السابق فعبرت القوات الرومانية الشرقية الدانوب والحقت الهزيمة بوخرة الهون ، ووجد اتيلا نفسه امام ضغوط عسكرية وكوارث طبيعية فانسحب من ايطاليا (٢) .

ولم ينس اتيلا موقف مارقيان المعادي له منذ اعتلائه العرش ، فاعلن اتيلا بعد انسحابه من ايطاليا ان الوقت قد حان لتأديب خصمه ، ولاشك ان فشل اتيلا في غالة وايطاليا قد دفعه للانتقام من الامبراطورية الشرقية كي يحقق نصرا يزهبه ويزيل عار الهزيمتين . وجاءت خطوة اتيلا الاولي ضد

(1) Thompson, op. cit., pp. 143 - 144.

(2) Thompson, op. cit., pp. 147 - 148, Bury, op. cit, Vol. I., pp. 294 - 296, Camb. Med. Hist., Vol. I, pp. 364 - 365.

مارقيان بأن زحف الي هنغاريا . ومن موقعه الجديد ارسل رسالة الى الامبراطور الشرقي يقول فيها بأنه مالم يسدد الجزية المتفق عليها مع ثيودوسيوس الثاني فانه اى اتيلا سيعلم الحرب ضد الامبراطورية الشرقية ويوقع كل سكانها في العبودية ، غير ان القدر لم يمهل اتيلا لتحقيق انذاره ، فقبل الهجوم الكبير قرر اتيلا ان يضيف زوجة جديدة له . وبعد افراطه في السكر وجدته رجاله صباح اليوم التالي لزوجته ميتا دون ان يكون مصابا بجروح . وبذلك انقذت الامبراطورية الشرقية من خطر اتيلا ، وتلى ذلك ثورة الشعوب الخاضعة للهون ووقعت الهزيمة بأبناء اتيلا وفشلت محاولة للمفاوضة بين الهون والرومان الشرقيين سنة ٤٦٨م - ٤٦٩م في القسطنطينية ، كما الحقت القوات الرومانية الشرقية الهزيمة بالهون ، وسرعان ماتفككت امبراطورية اتيلا ، ولم يعد الهون يمثلون خطرا علي الشرق او الغرب (١) .

(1) Thompson, *op. cit.*, pp. 149 - 157, Bury, *op. cit.*, Vol. I., pp. 296, Ostrogorsky, *History, of the Byzantine state, Reprinted 1986*, p. 17; Jones, *op. cit.*, p. 80.

- 1- Bury, J. B.,
History of the later Roman Empire from the death of Theodosius I to death of Justinian, New York 1958 2 vols.
- 2- Cambridge Medieval History vol. I.
- 3- R. S. Hoyt and S. Chodorow,
Europe in the middle ages, Third edition 1076, New York.
- 4- A. H. M., Jones,
The decline of the ancient world, London I 1978.
- 5- F. lot.,
The end of the ancient world and the beginnings of the middle ages, London 1968.
- 6- Norman F. Cantor,
The Medieval world 300 - 1300 second edition, 1968.
- 7- G. Ostrogorsky,
History of the Byzantine State, Translated from German by J. Hussey, Great Britain, 1986.
- 8- E. A. Thompson,
A History of Attila and the Huns, Oxford 1943, Reprinted 1975, Green wood press.
- 9- A. A. Vasiliev,
History of the Byzantine Empire, Vol. I, Madison 1958.

ثانيا : المراجع العربية والمترجمة :

١ - احمد عبد الكريم سليمان :

معركة ادرنة بين القوط والرومان في ضوء وثائق المؤرخ العسكري
اميانوس مارسلينوس - دار النهضة العربية ١٩٩٠ م .

٢ - الصراع الدولي في الغرب الاوربي في منتصف القرن الخامس الميلادى
- مجلة المؤرخ المصري عدد يناير ١٩٩٤م - كلية الآداب -
جامعة القاهرة .

٢ - د . اسحاق عبيد :

الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، الطبعة الاولى
١٩٧٢م ، دار المعارف بمصر .

٤ - د . سعيد عبد الفتاح عاشور :

اوربا العصور الوسطى الجزء الاول ، الطبعة التاسعة ١٩٨٣م .

٥ - د . السيد الباز العرينى :

الدولة البيزنطية - دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ .

٦ - كانتور نورمان :

التاريخ الوسيط قصة حضارة : البداية والنهاية ، ترجمة وتعليق
د . قاسم عبده قاسم - الطبعة الثانية - دار المعارف .

٧ - د . محمد محمد مرسى الشيخ :

تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية - ١٩٩٤م .

٨ - م . هس :

العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق د . رأفت عبد الحميد ، دار
المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٤م .